لا وطن للرجال المسنين الفلم الفائز بجوائزة الأوسكار

إحياء قيم الغرب الأميركي في

كتب محمد حيّاوي– مليونا دولار من أموال المخدرات القذرة في حقيبة جلدية سوداء، يعثر عليها مصادفة صياد غزلان عادي في صحراء تكساس ضمن مخلفات معركة دامية جرت بين عصابات المهربين، وقاتل محترف يُستأجر للعثور على المال يتتبع ذلك الصياد بواسطة جهاز إرسال خفي مخبأ في رزم الدولارات، ورجل شرطة مخضرم يتتبع ذلك القاتل للضفر به، أحداث عادية لفيلم إستثنائي يسعى لعصرنة أفلام الغرب الأميركي العتيدة.

للوهلة الأولى يبدو الفيلم وفياً لنمط سينما الأخوين كون التي تستند في الغالب إلى عالم الجريمة والعنف، لكن الإختلاف هذه المرة في تقنيات التصوير الرائعة والمشاهد المفتوحة والكاميرا التي تتبع بطل الفيلم الصيّاد ليولين موس (الممثل جوش برولين) وهو يتفحص سيارات البيك– آب الحديثة المعطوبة في الصحراء، والجثث المتناثرة تحت لهيب الشمس الحارقة، لكن أليس ثمة ناج من تلك المجزرة؟، يتسائل موس، وبحدس الصياد الحذر يفكر، أين يمكن أن يتجه الناج في تلك الحالة؟ إلى الظل ربما، وسرعان ما يلمح شجرة وحيدة على تلة قريبة فيتجه نحوها، وهناك يجد أحد الرجال وقد مات للتو متأثراً بجراحه وبقربه حقيبة جلدية سوداء فيها مليونا دولار أميركي فيقرر الإستحواذ عليها، عندها فقط تنقلب حياته إلى جحيم حقيقي وهروب أعمى من موت محتوم.

الفيلم يستند إلى رواية تحمل الأسم نفسه للكاتب الأميركي كورماك مكارثي الذي يطلقون عليه هناك شكسبير الغرب الأميركي، لشدة ولعه بحكايات الويسترن وقدرته الفذة على تكييفها أدبياً، وإن كانت روايته هذه تختلف عن الأخريات كونها قصة ويسترن حديثة تبتكر أفكاراً جديدة أثارت اهتمام الأخوين كون، سيما آلة القتل الجهنمية التي يستخدمها القاتل المُستأجر أنطون شيغورة (الممثل الإسباني خافيير باردم) المتكونة من قنينة غاز مضغوط وخرطوم مطاطي تعمل بقوة الضغط الهائل، وهي مفردات واحدة من مفردات عديدة لقصة غير عادية تبدأ بمشهد غير عادي لجثث متناثرة يحوم حولها الذباب، وتنتهي بمشهد مأساوي لمقتل البطل بطريقة غير متوقعة على الإطلاق.

المخرجان

جول وإثان كون، مخرجان أميركيان عرفا بأفلامهما التي تتناول في الغالب عالم الجريمة بمسحة كوميدية في بعض الأحيان، من مثل، رفع أريزونا، وفارغو، ولوبفسكي الكبير، والأخوان أو، وحيث الفن أنت، وهم يخرجان وينتجان أفلامهما بنفسيهما، إذ يضطلع جول في الغالب بالإخراج في حين يتولى إيثان عمليات الإنتاج، وفي أحيان كثيرة يقومان أيضاً بالمونتاج، وهما من القلائل الذين تتطابق رؤيتهما السينمائية ولا يستطيعان العمل منفردين.

ولد جول كون في العام ١٩٥٤ في سانت لويس بارك، وهو متزوج من الممثلة فرانسيس مكدورماند، أما إيثان فقد ولد في العام ١٩٥٧ ومتزوج من مهندسة المونتاج المعروفة تريسيا كوك، وهما الأبنان الوحيدان لمدرس جامعي لمادة الإقتصاد ومدرسة جامعية لمادة تاريخ الفن.

قيم الغرب الأميركي

الفلم يصنف ضمن أفلام الويسترن، أو أفلام الغرب الأميركي المعروفة، لكن بطريقة معاصرة هذه المرّة، إذ يظهر البطل ليولين موس ببنطال الجينز معتمراً قبعة رعاة البقر الشهيرة وبشارب متدل، لكن بدل أن يعتلي ظهر جواده يقود عربة نصف بيك آب من نوع جي أم سي ذات دفع رباعي، إنه ملمح يذكرنا بدعاية سكائر مارلبورو الشهيرة في الثمانينات، لكن هل يحمل هذا البطل المعاصر قيم الغرب

المخرجة المصرية هالة خليل

الفضائيات غول لا يميز بين الغث والسمين

المصير – روتردام:

تعد هالة خليل واحدة من المخرجات الواعدات، اللاتي ينتظرهن مستقبل كبير إذا ما توفرت لهن الفرص الكافية بحسب النقاد، ويعود ذلك بالأساس إلى طبيعة شخصيتها القيادية والمثقفة، وإلى أنها كانت دائما متشبثة بأن تقول شيئا ما في أعمالها، و بأن تكون صادقة في تناول ما تراه مهما..المصير كان لها لقاء على هامش الدورة السابعة لمهرجان الفيلم العربي في مدينة روتردام مع هالة، هذا نصه:

❖ يبدو أنك قد وقعت في غرام هذه المدينة الهولندية؟

جئت إلى هذه المدينة، وبالتحديد إلى مهرجان الفيلم العربي قبل سنتين أو ثلاثة، بفيلمي الأول 'أحلى الأوقات'، وقد فزت في تلك الدورة بجائزة الصقر الفضي، أي الجائزة الثانية، وقد ذهب فيلمي بعد ذلك إلى عديد المهرجانات، كما حزت عديد الجوائز، وفي خاتمة هذه الدورة، أي الدورة السابعة، فاز فيلمي 'قص ولصق'، بجائزة المهرجان الأولى الصقر الذهبي، فكيف لا أتفاءل بهذه المدينة وبمهرجانها العربي.

❖ يقول بعض النقاد أنك مع أسماء قليلة في السينما المصرية، تمثلين جيلا ثالثا أو خطا وسطا، استطاع التوفيق نسبيا بين الجانب الفني ومتطلبات السوق، كيف ترين نفسك ضمن هذا التصور؟

كل المخرجين الذين لديهم خلفية فنية عميقة ورغبة في احترام السينما كفن بالدرجة الأولى، حاولوا أن يحققوا طموحاتهم كما هي في داخلهم لكنهم اصطدموا بحقائق الواقع ومتطلبات الإنتاج في بلد تحكمه قوانين السوق، وأنا واحدة من هؤلاء، لكنني والبعض حاولنا أن نجد مخرجا للمأزق، لأنه لا معنى لأن كون لديك أفكار عظيمة دون أن تجد طريقا للناس، وكان المخرج هو أن نحاول تقديم أفكارنا ورؤانا ضمن المتاح ولو كان قليلا، فالذي يعمل بمقدوره التأثير، لكن العاطل لا يؤثر في أحد.

❖ هل يمكن القول بأن تدخل القنوات التلفزيونية الفضائية في الإنتاج السينمائي، ربما كان مفيدا في دوران عجلة هذا الإنتاج بوتيرة أسرع؟

للإنتاج التلفزيوني في مجال السينما العربية وجهان في حقيقة الأمر، الوجه الأول إيجابي بطبيعة الحال، حيث أصبح المنتجون أكثر إقبالا على تنفيذ المشاريع، بالنظر إلى أنهم ضمنوا أن لا يخسروا على الأقل، فأي فيلم الآن حتى وإن لم يحقق شيئا على مستوى شباك التذاكر، قادر على أن يضمن لمنتجه الحد الآن من خلال بيعه لإحدى الفضائيات، أما الوجه الثاني السلبي للمسألة، فهو أن وجود مئات الفضائيات جعلها أشبه ما يكون بالغول، الذي لديه شاهية مفتوحة ومعدة قابلة لهضم أي شيء، لا فرق في ذلك عندها بين الغث والسمين، ولهذا فإن طغيان الأفلام الهابطة جراء حاجة الفضاء أمر وارد.

أوان الوصل

الطبيعة تقلد الفن

نعم، هكذا يعتقد أوسكار وايلد، الطبيعة الهائلة بقدرتها الساحقة، تتأمل الفن الخالص وتقلده، فمابالك بالإنسان، هذا الكائن الهش، وتاسيساً على هذا المعنى، فإن الإنسان، أي إنسان، هو فنان بالفطرة وإن اختلفت وسائله في تجسيد فنه.

ساقني إلى هذا الإستطراد تأثري بهيلدا، وهيلدا لمن لا يعرفها، بائعة سمك من تيلبورغ إلتقيتها ذات مهرجان، هي تدرس العربية في الآحاد، والعبرية في ليالي الأسبات، وتجلب السمك من فولندام فجر الجمعات لتبيعه في صباحات الأسبات، وهي فوق هذا وذاك تجد وقتاً للذهاب إلى السينما ومعارض الفنون.

عندما ناقشتني هيلدا عن سينما تارانتينو وخطه المميز في أفلام العنف، أعتقدت إنها ناقدة سينمائية كبيرة، أو صحفية متخصصة في السينما، وحتى لا يعتقد البعض إن ثقافتها تقتصر على السينما فقط، فأن هيلدا قرأت ابن خلدون بلغتنا نحن، وتتحدث عن كتاب الغواني، لأبي فرج الأصفهاني بإعجاب، ذلك لأنها ترى اختلافاً في العمق بين عرب الماضي وعرب الحاضر، وعندما سألتها عن المستقبل اجابت ضاحكة، أنا الآن أعيش المستقبل ياصديقي، فأنا أشاهد أفلاماً جيدة وأتعلم لغات مختلفة وأغني تجربتي في الحياة، كما أن مهنتي تؤمن لي ما يكفي من السلام الداخلي الذي أحتاجه، فقلت في سري سبحات الله، فبنصف جمالك ونصف ثقافاتك ونصف لغاتك لا تقبل الواحدة عندنا إلا بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ولصممت لها المهرجانات لتديرها وتتباهى بها، ولنظم لها الرجال الأشداء العروض الملوّنة وأسسوا لها الفضائيات، ولما حضرت أية فعالية ثقافية إلا وسبقتها لجان الإستقبال وفرش لها السجاد الأحمر، قالت هيلدا، مابك، أراك أطلت التفكير؟ قلت أتعلمين يا هيلدا؟ إنني أعمل في جريدة هولندية منذ عشر سنوات، وكل يوم أكتشف حجم التواضع الذي يتمتع به زملائي، كل يوم يا هيلدا، أندهش ببساطتهم وقدرتهم على التسامح، وأعقد خلاف بيننا لا يدوم بضع دقائق، إنني أعاني يا هيلدا، فأنا من خلفية شرقية وأنتظر ممن أختلف معه أن يحمل غيضه عليّ حتى قبره، أريده أن يكظمه أمامي فيتشوه وجهه من شدة الغيظ، ويحكي عني بالسوء إينما ذهب، إنني أفتقد تلك المتعة ياهيلدا، لأن زملائي في الجريدة همومهم متواضعة، يسهرون مع زوجاتهم ويشاهدون أفلاماً جيدة ويذهبون إلى أسبانيا في العطلات الصيفية، أريد زملائاً يحلمون بالفوز بجوائز نوبل والأوسكار، ويوقفون حياتهم رهنا لهذا الوهم، حتى ولو كانو لا يعرفون موقع السرة من الجسد.

سأل مرة الخليفة الأموي معاوية مجالسيه، من أسعدنا؟ (أي أكثرنا سعادة) فقال له المنافقون الذين من حوله، أنت يا أمير المؤمنين، فأنت السعيد بأذنه والمؤيد برفعته، قال كذبتم، فقالوا من هو أذن يامولاي؟، قال، رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له إمرأة يحبها ويمتلك الشجاعة على التواضع وتضئ له السماء في الليل.

محمد حيّاوي